

الحدث والإيقاع

هكذا يتقدم الحدث لولينا ، انه ليس تراكما للزمن ، انه تراكم الزمن في القصيدة . وهذا ما يميز الشعر عن لغة الايصال المباشرة . لذلك تصبح لغة الشعر بحثا عن اللغة ، وليست صيغة جاهزة . وتأتي الصورة في عناصرها البسيطة امتدادا لمحاولة اكتشاف الزمن المتحرك ، زمن الجدل في القصيدة . فتصبح دلالة الصورة الشعرية ، دلالة رؤيوية مباشرة . انها لا تقسيم توافقيات من خارج السياق المثلث الذي اشرنا اليه ، فهي امتداد للعناصر الثلاثة التي تتكون منها القصيدة بشكل عفوي وواضح :

« والرباط قزيبية :

اسوارها الصفراء تدنو وهي تهبط

ثم تدنو وهي تهبط

ثم تدنو وهي تهبط

كانت الاسوار اشجارا واطفالا وماء .

هذه التدايعات المائية، تأخذ الصورة الشعرية، بوصفها امتدادا لماء النهر الذي يغرق فيه بين بركة والشاعر ، لذلك تصبح الاسوار صورة لايسط عناصر الطبيعة ، الشجر والماء ، وللمستقبل ، الاطفال . وتتقدم القصيدة كسلسلة مواقف في لحظة الموت ، وكان الحدث الذي تجري صياغته هو استجماع للحظة الموت حين تصبح رمزا سياسيا .

الإيقاع ، داخل بنية القصيدة

تأتي بنية القصيدة في هذه المجموعة ، وكانها سيل بلا ضوابط . لكن عنصر الضبط الخجول ، الذي يتحكم بها ، يقع داخلها ، في استدارة الحدث الذي يربط مفاسل القصيدة ، وفي الحالة التي توحد عناصرها المختلفة . فتأتي القصيدة وكانها انسياب يمزج بعض عناصر الذاكرة الشعرية الحديثة ، بنفس مأساوي ينساب داخل ايقاع بسيط وهاديء . يلجأ الى التكرار احيانا ، او يبتدئ في رؤية تحاذي الرومانسية دون ان تسقط فيها ليحاول اكتشاف العالم :

« فالعشب بين الصغرة والنجم البارد ... طال

والليل المتطاول طال

والشعر على الناصية الثورية طال

في قصيدة « أوراق من ملف المهدي بن بركة » ، وهي اهم قصائد المجموعة ، يحمل الشاعر الأحداث التفصيلية في رؤية للقصيدة المركبة ، نادرة ومذهلة . هنا تأتي التفاصيل دقيقة وتنصليية ، لكنها تختلط ببعضها . فالقصيدة تضرب السياق ولا تمس التفاصيل ، فتصبح دلالات التفاصيل مضاعفة . او انها تتحول عن دلالاتها بوصفها أجزاء ، او كلا يوميا ، لتصبح كليتها من نبط اخر . فمخضية المهدي بن بركة ، تختلط بشخصية الشاعر والقارئ معا . الشاعر يمتزج بالبطال القتيل ، وفي امتزاجه يفترض قارئنا يعيد ترتيب التفاصيل التي يسوقها بصيغة جديدة . فتكتمل معادلة القصيدة وترتكب

« في الصباح تأخر عن شرب تهورته ، ظلت المفرقة

الجانبية مقبوزة بالضيء الى الفجر ... هل

كسان

يقرا ؟ باريس نفتحتها شاحنات الاقاليم بالجزر المتورد والخضرة المشبعة .

في هذا المقطع الذي يقترب في حديثه من لغة القصة القصيرة ، تقيم القصيدة خطأ لنمط تدايعاتها . فهي تتداعى في ثلاث مستويات : مستوى وصفي : يعيد وصف الفعل الانساني في حركته اليومية ، الغرفة ، القهوة ... مستوى الانتقال الموضوعي : وصف حركة الخارج التي لا تمس بن بركة - الشاعر - بشكل مباشر ، ولكنها تصنع عناصر المدينة . ومستوى العالم السداخلي : الموت ، النضال ، الذي يوحد المستويين الاولين في شفافية مذهلة في قدرتها على مزج اللحظات :

« مترقدا بين انكسار الضوء والحجر القديم

يداي موثقتان خلفي

دارت الاسماك حولي

يكتب الملح في التماعها السماء .

هذا التوحيد ، يتم في سياق القصيدة الحديثة التي يصغر شعدي يوسف على استعمالها ، فتصبح وكانها الاطار الذي تبحث فيه قصيدته عن نفسها عمقا .